الحكم من الجو

عامر محسن

ما تشهده المنطقة اليوم ليس حملة عسكرية مؤقتة ومحددة الاهداف، ترمي الى هزيمة تنظيم «الدولة»، بل بداية لنمط معهود من الحكم الخارجي يُمارس عبر القصف والطائرات. ومن يراقب البنية العسكرية التي ترسى دعائمها في الاقليم، وعملية بناء التحالفات واستدخال شركاء محليين واوروبيين، خارج اطار مجلس الأمن والقانون الدولي طبعاً، يستنتج بسهولة أن هذه المنظومة قد أوجدت حتّى تبقى وتستمر.
هذه هي المرة الثانية خلال قرن التي تحاول فيها قوة استعمارية أن «تحكم العراق من الجو»، وهو التوصيف الذي أعطاه الباحث توبي دودج للسياسة البريطانية في عراق العشرينيات، حين كانت ثورة العشائر تستعر في أرياف العراق. كانت النظرية آنذاك أن الامبراطورية لا تريد أن تتورط في حكم عسكري مباشر لنواحي العراق، ولا هي ترغب في تحمّل كلفة حملة برية ضخمة، غير انها تقدر عبر الطيران (السلاح الذي شهد تطوراً كبيراً بسبب الحرب العظمى) أن تحتوي أي تمرّد عسكري وأن تمنعه من التكتل والحشد، أو شنّ هجمات كبيرة وتهديد المدن والقواعد.
هكذا حكمت بريطانيا العراق عبر قصفه. وقد جرّبت فرنسا، في بعض المناطق السورية، امراً مشابهاً. اليوم يذكّر العديد من المعلقين، مع صعود النزعات التقسيمية وتأثيرها، بأن العراق وسوريا دول «اصطناعية» لا قدسية لها، رسم حدودها الاستعمار منذ أقل من قرن. هذا، في المطلق، صحيح، بل أن بلداً كالعراق قد تمّت «صناعته» واعادة تركيبه أكثر من مرة على يد الاحتلال الخارجي منذ «سايكس بيكو».
ولكن الوجه الآخر من المعادلة، الذي قد لا يراه الناظر من فوق، هو أن الاستعمار لا يرسم على «صفحة بيضاء»، وأن كلّ غزو يكتنف نقيضه. «ثورة العشرين»، مثلاً، لم تأت من فراغ، بل كانت استمراراً لتراث مقاومة عراقي، عسكري وثقافي وديني، جابه البريطانين خلال غزوهم للبلد في الحرب العالمية الأولى وألحق بهم، في الكوت، أكبر الخسائر التي تكبّدوها في الشرق. اذ استسلمت الحملة البريطانية المحاصرة، مع أكثر من عشرة آلاف جندي، وأسر قائدها الجنرال تاونشيند. والحركات المؤسسة للوطنية العراقية بنت سرديتها، كما في سوريا، على تاريخ المقاومة هذا (أو على نسختها منه). الغزو ومقاومته يشكّلان، سوية، تاريخنا وماضينا، السؤال هو: على أي جانب من التاريخ نكون؟

على الغلاف

«بشائر المعركة الكبرى»: التلي يقود الحرب

بكبسة زر، اشتعلت طرابلس. أسماء المطلوبين نفسها تتكرر في الشكل، معركة المسلحين خاسرة حكماً. لكن توزيع الأدوار بين المجموعات المعادية للجيش يشي بأن شيئاً ما يحضر في الخفاء

رضوان مرتضى

«هي بشائر المعركة الكبرى في لبنان»، بهذه العبارة يُجيب قيادي إسلامي عن سؤال: «ماذا يجري في طرابلس؟». معلومة قد توحي بشيء من المبالغة، ولا سيما أن المعطيات الأمنية تكشف أنّ «أعداد المسلّحين الصادقين بخوض المعركة في الشمال لا تتجاوز العشرات»، هذا إذا استُثني النازحون السوريون المؤهلون لحمل السلاح. يُعزّز ذلك نأي الشارع الطرابلسي والشمالي بنفسه ووقوفه إلى جانب الجيش، أقلّه في الاشتباكات التي وقعت خلال اليومين الماضيين. غير أن المصدر الإسلامي المقرّب من «جبهة النصرة» لا يتوقف عند هذه المعطيات، مؤكداً أنّ «ما كان سابقاً يختلف عن الآتي». ويكشف أن «ما يحصل في الشمال يقوده شخصياً الشيخ أبو مالك التلّي»، مشيراً إلى أن شادي المولوي وأسامة منصور بايعا «النصرة» على السمع والطاعة. ويستدل بذلك على التسجيل الصوتي للمولوي الذي قال فيه إنه توافق مع المشايخ على تسليم الجندي المخطوف في باب التبانة فايز العموري، لكن أبو مالك رفض. وبالتالي، اختار المولوي النزول عند قرار أميره. أما ما يُردده مشايخ هيئة علماء المسلمين عن احتمال التوصل إلى هدنة أو تهدئة، فيردّ بأنّها آنية لن تصمد قبل أن تشتعل المواجهة مجدداً. ويعزز هذه الفرضية تزامن تصعيد «جبهة النصرة» في القلمون وكتائب عبد الله عزام معاً. الأولى تضغط بالعسكريين الأسرى لديها، فيما الثانية على لسان الشيخ سراج الدين زريقات يهدد بالقول: «نحن على مشارف انتفاضة سنية تقتلع جذور الظلم». وأضاف: «استعدّوا لردود أفعالنا الطبيعية لرفع الظلم عن أهلنا في لبنان»، علماً بأن المصادر تتحدث عن «توحيد صفوف الثوّار في القلمون من أجل الانقضاض على قرى البقاع الشمالي». وتشير إلى أنّ «ما يجري في الشمال هو عملية إلهاء للجيش وتصويره على أنه ضد أهل السنّة وتشتيته عبر حرب الشوارع في أماكن مختلفة».
وعليه، كان ولا يزال سيناريو إعلان عاصمة الشمال إمارة إسلامية هاجساً يؤرق أيام الأجهزة الأمنية. أما عن شرارة إشعال المعركة في طرابلس، فتكشف المعلومات الأمنية عن «وثيقة صادرة منذ عشرين يوماً بناءً على معلومة مخبر تتحدث عن حصول اجتماع بين قادة المحاور للتحضير لبروفة انتشار أمني أمام مراكز الجيش بناءً على أوامر من أبو مالك التلّي». وتشير المعلومات إلى أن تحرّكات الجيش تمّت استناداً إلى هذه المعلومة التي جرى تعميمها. وتلفت المعلومات إلى أن توقيف أحمد سليم الميقاتي جاء بالصدفة، كاشفة أنّ هاتف الجندي الفار عبد القادر الأكومي الذي كان موضوعاً تحت الرصد شُغِّل ثم أُقفل، فجرى تحديد موقعه. وبحسب المصادر، فإن عملية التوقيف هذه عجّلت بالسيناريو الذي كان يجري التحضير له. وعلى هذا الأساس، دعا الشيخ خالد حُبلص من على منبر مسجد التقوى في طرابلس إلى «ثورة سنية». استجاب لها قرابة ثلاثين شاباً في باب التبانة يتبعون لكل من شادي المولوي وأسامة منصور وأحمد كسحة وعبد الله الجغبير الملقّب بـ«أبو هاجر». وكذلك الأمر حصل في محلة الزاهرية. في تلك الأثناء، صادف مرور دورية من فوج التدخّل في الجيش، استهدفها المسلّحون الغاضبون. فوقع اشتباك بين أفراد الدورية والمسلّحين الذين هربوا في اتجاه الأسواق القديمة. وبحسب مصادر إسلامية، فقد تلقى ذوو الموقوف الميقاتي اتصالاً من رقم مجهول أبلغهم فيه أن «أبو الهدى» توفي تحت التعذيب في وزارة الدفاع، طالباً إليهم التوجه في اليوم التالي لتسلّم جثته. وتجدر الإشارة إلى أن الموقوف المعروف بـ«أبو الهدى الميقاتي» يوالي تنظيم «الدولة الإسلامية». وتشير المعلومات إلى أن تنظيم «الدولة» عيّن أميراً له في لبنان أخيراً بايعه الميقاتي، لكن هويته وكنيته لا تزالان سريّتين لأسباب أمنية، علماً بأن الأمير المذكور ليس معروفاً لبنانياً. وتجدر الإشارة إلى أن مقاتلي «النصرة» و«الدولة» يعملون معاً في لبنان، ولا يمكن في أحيان كثيرة تحديد التنظيم الذي ينتمي إليه مقاتل ما.
لكن يمكن تقسيم المجموعات التي تقاتل في الشمال وفق الآتي: في الزاهرية، بقي سوق الحديد والنحّاسين تحت سيطرة الجيش، فيما انتشر المسلّحون في الشارع العريض وسوق الكندرجية وسوق الذهب والبالة خلف المسجد الكبير. أما في باب التبّانة، فقد تحرّكت المجموعات التابعة لكل من منصور والمولوي وأبو هريرة الميقاتي، نجل الموقوف أبو بكر الميقاتي، لاستهداف الجيش، إضافة إلى عشرات السوريين الذين بايعوا التلّي أميراً. أما مجموعة حبلص، الذي تشير المعلومات إلى أنّه مقرّب جداً من «النصرة»، فقد تحرّكت في الزاهرية وهي المتورطة باستهداف الجيش. وأمام نوعية الأسلحة التي جرى ضبطها في مسجد هارون وباب التبانة وكميتها، تحرّك الجيش فقطع الطريق كلياً بين دير عمار والعبدة. هذا الإجراء غير المسبوق، بحسب مصادر طرابلسية، منع مرور السوريين نهائياً، سواء

> عملية إلهاء للجيش وتشتيته في حرب شوارع في أماكن مختلفة

بورتريه

خالد حبلص . على خطى الأسير

رضوان مرتضى

في كانون الأول 2012، زار الشيخ أحمد الأسير منطقة عكّار. في تلك الزيارة، التي قاطعها رؤساء بلديات المنطقة وبعض فاعلياتها، تعرّف الشيخ خالد حُبلص إلى الأسير واستقبله في منزله. لم يكن الرجلان قد التقيا سابقاً، إلا أنّ حُبلص أعرب خلال اللقاء عن إعجابه بالضيف الوافد من صيدا وبمشروعه، داعياً إياه إلى إلقاء محاضرة دينية في مسجد هارون الذي يخطب فيه في بحنين (المنية). رحّب الأسير. وبالفعل، عاد لاحقاً وألقى محاضرات سياسية ودينية في المسجد المذكور. ساهمت هذه اللقاءات في نشوء علاقة مميزة بين الرجلين، يقول عارفو الشيخ العكّاري إنها أثّرت كثيراً في حُبلص الذي أسرّ لأحد أصدقائه من المشايخ بأنّه يرى في الأسير مثالاً يُحتذى، وكاد يُشبّهه بـ«شيخ المجاهدين» عبد الله عزام الذي يعتبره حُبلص قدوته في عالم الدعوة والجهاد.
قبل ذلك، لم يكن للشيخ الأربعيني شأن يُذكر. نشأ في مرحلته الأولى في صفوف الجماعة الإسلامية قبل أن يتأثّر بالمنهج السلفي. في التسعينيات، خُطف وعُثر عليه في مرمياً داخل مقبرة في باب الرمل. يومها اتُّهمت حركة «المشاريع» باختطافه بسبب الصراع بين الأحباش والسلفيين. انتقل حُبلص ـ وهو من إحدى قرى عكّار ـ إلى المنية قبل سنوات، قادماً من طرابلس. بداية، كان يؤم الصلاة في جامع المطحنة القريب من الطريق السريع. ومنذ نحو خمس سنوات، انتقل إلى إمامة مسجد هارون في بحنين. كان المسجد صغيراً، فهدمه وأعاد تشييده بتمويل خليجي.
في السنوات الثلاث الأخيرة،

حبلص لا يزال على اتصال مع الشيخ احمد الاسير